

مَعْرِفَةُ الْمَسِيحِ: أَقْوَالُ يَسُوعَ عَنْ ذَاتِهِ

المحاضرة ٣: باب الخراف

أ.ر. سي. سرول

مَرَّةً أُخْرَى، سَنَتَكَلَّمُ عَمَّا يُعْرَفُ بِأَقْوَالِ يَسُوعَ عَنْ ذَاتِهِ "أَنَا هُوَ" تِلْكَ الْإِعْلَانَاتُ الَّتِي قَامَ بِهَا أَثْنَاءَ خِدْمَتِهِ الْأَرْضِيَّةِ، وَهِيَ مُهِمَّةٌ جِدًّا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِوَعْيِهِ الدَّائِي، وَبِتَعْرِيفِهِ لِشَخْصِهِ وَعَمَلِهِ. سَبَقَ أَنْ رَأَيْنَا أَنَّهُ حِينَ يَسْتَعْمِلُ يَسُوعُ صِبْغَةَ "أَنَا هُوَ"، فَهُوَ يَسْتَعْمِلُ صِبْغَةَ كَلَامِيَّةً تَتَعَادَلُ مَعَ لُغَةِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ لِلْكَلامِ عَنِ اللَّهِ. إِذَا، سَبَقَ أَنْ تَكَلَّمْنَا عَنْ إِعْلَانِيْنَ يَبْدَأْنَ بِعِبَارَةِ "أَنَا هُوَ"، وَالْيَوْمَ، سَنَنْتَرَفُّ إِلَى الْإِعْلَانِ الَّذِي قَامَ بِهِ يَسُوعُ فِي يُوحَنَّا الْأَصْحَاحِ ١٠ "أَنَا هُوَ الْبَابُ".

قَبْلَ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، يَجِبُ أَنْ أَقُولَ إِنَّهُ فِي الْمَقْطَعِ نَفْسِهِ يُعْطِي يَسُوعُ إِعْلَانًا مُهِمًّا آخَرَ عَنْ ذَاتِهِ "أَنَا هُوَ"، حَيْثُ يَدْعُو نَفْسَهُ "الرَّاعِي الصَّالِحَ". إِذَا، فِي السِّيَاقِ نَفْسِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ نَفْسِهِ، يَدْعُو الْمَسِيحُ نَفْسَهُ الْبَابَ وَالرَّاعِي الصَّالِحَ. يَجِبُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْعِبَارَتَيْنِ لِأَنَّهُمَا لَا تَعْنِيَانِ تَحْدِيدًا الْأَمْرَ نَفْسَهُ، لَكِنَّ عَلَى الرَّعْمِ مِنْ أَنَّنَا نُمَيِّزُ بَيْنَهُمَا، يَجِبُ أَلَّا نَفْصَلَ بَيْنَهُمَا أَبَدًا لِأَنَّ أَحَدَهُمَا مُرْتَبِطٌ بِالْآخَرِ ارْتِبَاطًا وَثِيْقًا. إِذَا، أَوَّلُ أَمْرٍ يُعْلِنُهُ يَسُوعُ مِنْ بَيْنِ الْإِعْلَانِيْنَ هُوَ الْآتِي "أَنَا هُوَ الْبَابُ".

فَلْنَلْقِ نَظْرَةً عَلَى سِيَاقِ ذَلِكَ فِي يُوحَنَّا الْأَصْحَاحِ ١٠ ابْتِدَاءً مِنَ الْآيَةِ ١، حَيْثُ قَالَ يَسُوعُ:

الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي لَا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ، بَلْ يَطْلُعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَذَلِكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ. وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي الْخِرَافِ. لِهَذَا يَفْتَحُ الْبَوَابَ، وَالْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيَدْعُو خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا. وَمَتَى أَخْرَجَ خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ يَذْهَبُ أَمَامَهَا، وَالْخِرَافُ تَتَّبِعُهُ، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ. وَأَمَّا الْغَرِيبُ فَلَا تَتَّبِعُهُ بَلْ تَهْرُبُ مِنْهُ، لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ صَوْتِ الْغَرَبَاءِ. هَذَا الْمَثَلُ قَالَهُ لَهُمْ يَسُوعُ، وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مَا هُوَ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قِبَلِي هُمْ سَرَّاقٌ وَلِصُوصٌ، وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ. أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعَى. السَّارِقُ لَا يَأْتِي إِلَّا لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ.

إِذَا، هُنَا فِي بَدَايَةِ الْحَدِيثِ عَنِ الرَّاعِي الصَّالِحِ، يُشَبَّهُ يَسُوعُ نَفْسَهُ بِبَابِ حَظِيرَةِ الْخِرَافِ.

وَالآنَ، فَلْنَخْصِصْ بَعْضَ الْوَقْتِ لِلنَّظَرِ إِلَى الْخُلْفِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ لِلصُّورَةِ الَّتِي يَرَسُمُهَا يَسُوعُ لِسَامِعِيهِ فِي هَذَا الْإِطَارِ. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الدَّعْوَةَ لِلرِّعَايَةِ كَانَتْ مُهِمَّةً جِدًّا فِي الْمُجْتَمَعِ الْيَهُودِيِّ الْقَدِيمِ. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ مَلِيءٌ

بِإِشَارَاتٍ إِلَى مَسْأَلَةِ الرِّعَايَةِ، حَيْثُ نَشْهَدُ بُرُورَ دَاوُدَ عَلَى أَنَّهُ الْمَلِكُ الرَّاعِي لِإِسْرَائِيلَ، وَجَمِيعُنَا يَعْرِفُ جَيِّدًا الْمَزْمُورَ ٢٣ الَّذِي يُشَبِّهُ الرَّبَّ بِرَاعِي شَعْبِهِ. وَمَرَّةً أُخْرَى، نَرَى هَذَا التَّشْبِيهِ فِي جَمِيعِ أُنْحَاءِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ.

لَكِنَّ فِي الْعَالَمِ الْقَدِيمِ، كَانَتِ الْخِرَافُ تَبْقَى خَارِجًا خِلَالَ النَّهَارِ لِتَرْعَى، وَكَانَ الرَّاعِي يَقُودُهَا بِالْقُرْبِ مِنَ الْمِيَاهِ الْهَادِيَةِ وَإِلَى مَرَاعٍ خَضِرَاءَ حَيْثُ يُمَكِّنُهَا أَنْ تَتَعَدَّى عَبْرَ الْأَكْلِ فِي الْمَرَاعِي. وَإِنْ رَأَيْتُمْ يَوْمًا قُطْعَانًا مِنَ الْخِرَافِ، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا تَتَحَرَّكُ بِشَكْلِ فَوْضُوئِيٍّ، مِنْ دُونِ وُجُودِ أَيِّ نِظَامٍ أَوْ سَبَبٍ لِنَشَاطَتِهَا، وَمِنْ دُونِ رَاعٍ، هِيَ تَهِيمُ أحيانًا بِطَرِيقَةٍ تَجْعَلُنَا نَظُنُّ أَنَّهَا مُعَقَّلَةٌ وَأَنَّهَا سَتُؤْذِي نَفْسَهَا. إِذَا، فِي الشَّرْقِ الْأَدْنَى الْقَدِيمِ، كَانَ لَدَى الْخِرَافِ دَائِمًا رَاعٍ يُرَافِقُهَا خِلَالَ النَّهَارِ، لَكِنَّ فِي اللَّيْلِ، كَانَ يَتِمُّ إِخْرَاجُ الْخِرَافِ مِنَ الْمَرَاعِي، وَجَمْعُهَا فِي مَكَانٍ مُحَمِّيٍّ يُعْرِفُ بِالْحُظَيْرَةِ.

وَكَانَتْ تُوجَدُ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنَ الْحُظَايِرِ. كَانَ الْبَعْضُ مِنْهَا مَصْنُوعًا مِنَ الْحَشَبِ وَمُحَاطًا بِسِيَاجٍ حَشِيٍّ يَحْمِيهَا مِنَ الدَّخِيلِ. لَكِنَّ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ، كَانَتِ الْحُظَيْرَةُ مُبْنِيَّةً مِنَ الْحِجَارَةِ. وَبِالتَّالِي، كَانَتِ عِبَارَةً عَنِ حِصْنٍ مَنِيعٍ، إِذَا جَارَ التَّعْبِيرُ، يَأْوِي الْخِرَافَ وَيَحْمِيهَا مِنَ اللَّصُوصِ أَوْ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرِسَةِ الَّتِي كَانَتْ تَأْتِي وَتُؤْذِيهَا. وَالْحُدْرَانُ الْمُحِيطَةُ بِالْحُظَيْرَةِ لَمْ تَكُنْ تَعْلُوهَا أَسْلَاكٌ شَائِكَةٌ، لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ تُوجَدُ أَسْلَاكٌ شَائِكَةٌ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، بَلْ كَانَ يَتِمُّ تَعْلِيقُ أَشْوَاكِ حَادَّةٍ وَمُسْتَنَّةٍ عَلَى رَأْسِ الْحِدَارِ لِمَنْعِ الدَّخِيلِ مِنْ مُحَاوَلَةِ تَسَلُّقِ الْحِدَارِ وَالِدُخُولِ مِنْ فَوْقِهِ. وَلِهَذَا السَّبَبِ، قَالَ يَسُوعُ وَحَدَهُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَهْلِكُوا وَيَسْرِقُوا وَيَذْبُحُوا يَتَسَلَّقُونَ الْحِدَارَ.

لَكِنَّ الْبَابَ هُوَ الْمَدْخَلُ الصَّحِيحُ لِلْخِرَافِ، وَأَيْضًا بِالطَّبِيعِ، وَالْأَهْمُ، لِلرَّاعِي. وَضَمَّنَ الْحُظَيْرَةُ كَانَ يُوجَدُ شَخْصٌ مَسْئُولٌ عَنِ الْحِرَاسَةِ يُعْرِفُ بِالْبَوَابِ، وَكَانَ يَجْرُسُ الْبَابَ. هُوَ لَمْ يَكُنِ الرَّاعِي، لَقَدْ كَانَ حَارِسَ الْبَابِ. وَعَالِبًا مَا كَانَتِ الْحُظَايِرُ كَبِيرَةً كِفَايَةً لِتَتَسَّعَ لِقُطْعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَمُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْخِرَافِ. وَكَانَ رِعَاةٌ مُخْتَلِفُونَ يَدْخُلُونَ مَعَ خِرَافِهِمْ، وَلَمْ تَكُنِ الْخِرَافُ تَتَوَّهُ وَتَخْتَلِطُ مَعَ خِرَافٍ قُطْعَانٍ أُخْرَى، لِأَنَّ الْخِرَافَ كَانَتْ تَعْرِفُ رَاعِيَهَا وَكَانَ الرَّاعِي يَعْرِفُ خِرَافَهُ. سَتَتَكَلَّمُ أَكْثَرَ عَنِ هَذَا الْأَمْرِ لَاحِقًا. لَكِنَّ مُجَدِّدًا، تَذَكَّرُوا أَنَّ الْمَدْخَلَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الْحُظَيْرَةِ، أَيَّ الْمَكَانِ الْأَمِينِ، وَمَكَانِ الْحِمَايَةِ هُوَ الْبَابُ. إِذَا، الصُّورَةُ الْأُولَى الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا يَسُوعُ هُنَا فِي هَذَا السِّيَاقِ تَجَلَّتْ بِقَوْلِهِ "أَنَا هُوَ الْبَابُ". وَجُدِّدًا، مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الرَّاعِي لَمْ يَكُنِ الْبَابَ، لَكِنَّهُ قَالَ "وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي الْخِرَافِ". إِذَا، نَحْنُ نُلَاحِظُ فَرْقًا هُنَا بَيْنَ الرَّاعِي وَالْبَابِ. "لِهَذَا يَفْتَحُ الْبَوَابُ، وَالْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيَدْعُو خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا".

يُحْكِي عَنِ رِعَاةٍ، لَيْسَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ فَحَسْبُ بَلْ فِي بُلْدَانٍ أُخْرَى، يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُمَيِّزُوا خِرَافَهُمْ مِنْ خِلَالِ الْعَلَامَاتِ وَالصِّفَاتِ الْفَارِقَةِ، وَكَانَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الرِّعَاةِ يُطْلِقُ، وَلَا يَزَالُ يُطْلِقُ حَتَّى الْيَوْمِ، أَسْمَاءَ خَاصَّةً عَلَى الْخِرَافِ، مِثْلَمَا نَفْعَلُ مَعَ حَيَوَانَاتِنَا الْأَلِيفَةِ الْمُنزِلِيَّةِ، مَعَ قِطْطِنَا وَكَلَابِنَا وَمَا إِلَى ذَلِكَ. وَأَيْضًا، إِنْ أَمْضَى الرَّاعِي وَقَفْنَا مَعَ الْخِرَافِ وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَعْرِفَ الْخِرَافَ وَهِيَ عَرَفْتُهُ بِدَوْرِهَا، فَأحيانًا يَقِفُ الرَّاعِي دَاخِلَ الْحُظَيْرَةِ وَيُنَادِي الْخِرَافَ فَتَأْتِي مُسْرِعَةً،

لأنَّ الحِرَافَ الَّتِي يُفْتَرَضُ بِهَا أَنْ تَكُونَ حَيَوَانَاتٍ مُغْفَلَةً، كَانَتْ تُمَيِّزُ صَوْتِ رَاعِيهَا وَأَرَادَتْ أَنْ تَكُونَ حَيْثُ يَكُونُ. إِذَا، عِنْدَمَا يُنَادِيهَا الرَّاعِي بِاسْمِهَا، كَانَتْ تَأْتِي مُسْرِعَةً إِلَى الحُظِيرَةِ. لَكِنْ مُجَدِّدًا، الْمُدْخَلُ الْوَحِيدُ إِلَى الحُظِيرَةِ هُوَ الْبَابُ. "لِهَذَا يَفْتَحُ الْبَوَابُ، وَالْحِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيَدْعُو حِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا. وَمَتَى أَخْرَجَ حِرَافَهُ الْخَاصَّةَ" أَيَّ عِنْدَمَا يُعَادِرُ الحُظِيرَةَ يَذْهَبُ أَمَامَهَا، وَيَقُودُ الحِرَافَ عَبْرَ الْبَابِ لِتَرْعى مُجَدِّدًا، وَمَرَّةً أُخْرَى، كَانَتْ الحِرَافُ تَتَّبَعُهُ. إِذَا، يُوجَدُ تَشْدِيدٌ هُنَا، حَتَّى قَبْلَ مَثَلِ الرَّاعِي الصَّالِحِ، عَلَى سُلُوكِ الحِرَافِ مَعَ الرَّاعِي.

وَالآنَ، لاحتِطُوا السِّيَاقَ الْمُبَاشِرَ لِهَذَا الْمَثَلِ الَّذِي أَعْطَاهُ يَسُوعُ. أَعْنِي، فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ، عِنْدَمَا نَقْرَأُ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ وَنَخْتَارُ حَادِثَةً تَبْدَأُ فِي أَصْحَاحٍ مُعَيَّنٍ، فَإِنَّا نَكَادُ نَظُنُّ أَنَّهَا حَادِثَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ عَنِ تِلْكَ الَّتِي سَبَقَتْهَا. لَكِنَّ الْأَصْحَاحَ ١٠ يَأْتِي تَمَامًا عَقِبَ الْأَصْحَاحِ ٩، وَفِي النَّصِّ الْأَصْلِيِّ لِلْإِنْجِيلِ، لَمْ يَتِمَّ تَفْسِيرُ الْأَصْحَاحَاتِ أَوْ الْآيَاتِ. إِذَا، يَجِبُ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى مَا وَرَدَ مُبَاشَرَةً قَبْلَ هَذِهِ الْمُنَاقَشَةِ لِتَرَى مَا حَثَّ يَسُوعَ عَلَى إِعْطَاءِ هَذَا الْمَثَلِ التَّوْضِيحِيِّ. وَإِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ، عِنْدَمَا تَكَلَّمْنَا عَنِ ذَلِكَ الْإِعْلَانِ "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ"، أَحَدُ الْأَطْرِ الَّتِي قَامَ فِيهَا يَسُوعُ بِهَذَا الْإِعْلَانِ، كَانَ يَتَعَلَّقُ بِشَفَائِهِ الرَّجُلِ الْأَعْمَى مُنْذُ الْوِلَادَةِ. الَّذِي، وَبِلَمْسَةِ يَسُوعَ، اسْتَطَاعَ أَنْ يُبْصِرَ النُّورَ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فِي حَيَاتِهِ. وَلَمْ يَكْتَفِ يَسُوعُ بِالْقَوْلِ "أَنَا هُوَ مَنْ وَهَبَ النُّورَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ"، بَلْ قَالَ "أَنَا نُورُ الْعَالَمِ كُلِّهِ". وَتَذْكُرُونَ عِنْدَمَا قَرَأْنَا ذَلِكَ فِي الْأَصْحَاحِ ٩، أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُوقِيِّينَ غَضِبُوا مِنْ يَسُوعَ بِسَبَبِ الْإِعْلَانِ الَّتِي قَامَ بِهَا، كَمَا غَضِبُوا مِنَ الرَّجُلِ. وَقَامُوا فِعْلِيًّا بِطَرْدِ هَذَا الرَّجُلِ الْمَسْكِينِ الَّذِي وُلِدَ أَعْمَى وَشَفَاهُ الْمَسِيحُ بِمُعْجَزَةٍ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَفْرَحَ الْفَرِّيسِيُّونَ غَضِبُوا.

إِذَا، مُبَاشَرَةً بَعْدَ أَنْ وَاجَهَ يَسُوعُ الْقَادَةَ، انْتَقَلَ إِلَى الْكَلَامِ عَنِ كَوْنِهِ بَابِ الحُظِيرَةِ، وَمِنْ ثَمَّ مَهَّدَ لِلْقَوْلِ إِنَّهُ الرَّاعِي الصَّالِحُ، لِأَنَّهُ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا مَدْعُوينَ لِرِعَايَةِ شَعْبِ اللَّهِ كَانُوا أَشْبَهَ بِاللُّصُوصِ وَالسَّارِقِينَ، وَلَمْ يَهْتَمُّوا فِعْلًا بِخَيْرِ خِرَافِهِمْ. هَذَا رَجُلٌ وُلِدَ أَعْمَى، خَاضِعٌ لِرِعَايَتِهِمُ الرُّوحِيَّةِ. لَقَدْ كَانَ عَضْوًا فِي قَطِيعِهِمْ، إِذَا جَارَ التَّعْبِيرِ. وَعِنْدَمَا شَفِيَ ذَلِكَ الحُرُوفُ الْمَسْكِينُ الْمَجْرُوحُ مُنْذُ وِلَادَتِهِ، أُصِيبُوا بِالغَيْبَةِ وَالغَضَبِ مِنَ الرَّجُلِ وَمِنْ يَسُوعَ. وَكَانَ يَسُوعُ يَقُولُ لَهُمْ أَيُّ نَوْعِ مِنَ الرِّعَاةِ أَنْتُمْ؟ أَهَكَذَا تَهْتَمُونَ بِخِرَافِكُمْ؟ أَنْتُمْ أَكْثَرُ قَلَقًا عَلَى مَكَانَتِكُمْ، وَأَكْثَرُ قَلَقًا عَلَى سَمْعَتِكُمْ، مِمَّا عَلَى خَيْرِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي شَفِيَتْهُ لِتَو. إِذَا، هَذَا هُوَ السِّيَاقُ الَّذِي تَكَلَّمَ فِيهِ يَسُوعُ عَنِ الْبَابِ.

مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ عِنْدَمَا تَكَلَّمَ يَسُوعُ عَنِ الحُظِيرَةِ وَعَنِ بَابِ الحُظِيرَةِ، اسْتَشْهَدَ بِذَلِكَ الْوَضْعِ الْوَاقِعِيِّ وَالْأَرْضِيِّ الْمُنْتَشِرِ، الَّذِي كَانَ الْجَمِيعُ يَعْرِفُونَهُ، لِيَلْفِتَ النَّظَرَ إِلَى حَقِيقَةِ أَسْمَى. تَذَكَّرُوا أَنَّهُ فِي صَمِيمِ أَمْثَالِ يَسُوعَ وَصُورِهِ التَّوْضِيحِيَّةِ، تَكَلَّمَ أَيْضًا عَنِ مَلَكُوتِ اللَّهِ. وَمَا قَالَهُ يَسُوعُ هُوَ أَنَّ لَدَى اللَّهِ حَظِيرَتَهُ الْخَاصَّةَ، لَدَى اللَّهِ مَلَاذًا، لَدَى اللَّهِ مَكَانًا آمِنًا، لَدَى اللَّهِ مَكَانًا لِلسَّلَامِ الْأَبَدِيِّ وَالْحِمَايَةِ. حَيْثُ يَكُونُ اللَّهُ الحِصْنَ الْمَنِيعَ لِشَعْبِهِ، وَذَلِكَ الحِصْنُ،

كَالْحُظِيرَةِ، لَهُ بَابٌ. إِذَا، تَكَلَّمَ يَسُوعُ عَنِ السَّمَاءِ وَعَنِ الْمَلَكُوتِ وَعَنِ حُضُورِ اللَّهِ، وَاسْتَعْمَلَ عِبَارَةً رَفَضَهَا الْفَرِيسِيُّونَ.

لَكِنْ يَجِبُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ أَحِبَّائِي، إِنَّهُ رَبُّمَا لَا يُوجَدُ زَمَنٌ وَلَا ثَقَافَةٌ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ الْمَسِيحِيَّةِ ضَائِقَهَا هَذَا التَّوَعُّدُ مِنَ التَّعْلِيمِ الَّذِي أَعْطَاهُ يَسُوعُ أَكْثَرَ مِنَ الثَّقَافَةِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا الْيَوْمَ. إِذَا كَانَ يَسُوعُ قَدْ أَدَّى بَيَانٍ غَيْرِ صَاحِبٍ مِنَ النَّاحِيَةِ السِّيَاسِيَّةِ، فَقَدْ كَانَ هَذَا. لِأَنَّ مَا يَقُولُهُ يَسُوعُ عَنِ نَفْسِهِ هُوَ أَنَّ الْمَلَكُوتَ حَضْرِيٌّ وَعَيْرٌ شَامِلٌ، وَلَيْسَ لِلْحُظِيرَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ بَابًا مُخْتَلِفًا، أَوْ خَمْسَ عَشْرَةَ طَرِيقَةً لِلدُّخُولِ إِلَيْهَا. يُوجَدُ بَابٌ وَاحِدٌ فَقَط. كَمَا يَقُولُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ مِرَارًا، يُوجَدُ وَسِيطٌ وَاحِدٌ فَقَط بَيْنَ اللَّهِ وَالتَّائِسِ. لَدَى قَطِيعِ اللَّهِ رَاعٍ وَاحِدٌ، وَبَابٌ وَاحِدٌ، وَلَا يُمَكِّنُ الدُّخُولَ عَبْرَ ذَلِكَ الْبَابِ، إِلَّا مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ الْبَابُ.

لِذَا أَقُولُ إِنَّهُ عِنْدَمَا يَقُولُ الْمَسِيحِيُّونَ إِنَّهُ يُوجَدُ طَرِيقٌ وَاحِدٌ، فَإِنَّ الْأَمْرَ مُسِيءٌ جِدًّا إِلَى ثَقَافَةِ الشُّمُولِيَّةِ وَالتَّعَدُّدِيَّةِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا. يَلْقَى الْمَسِيحِيُّونَ عُبُوسًا عِنْدَمَا يَتَكَلَّمُونَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ. لَكِنْ أَكْرَرُ، يَسُوعُ هُوَ مَنْ قَالَ هَذَا الْكَلَامَ، وَالرُّسُلُ أَيْضًا. قَالَ بَطْرُسُ "لَيْسَ اسْمٌ آخَرَ تَحْتَ السَّمَاءِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ". فِي سِيَاقٍ آخَرَ سَتَنْتَرِقُ إِلَيْهِ لِأَنَّ تَكَلَّمَ يَسُوعُ عَنِ نَفْسِهِ قَائِلًا: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِي". إِذَا، مَرَّةً أُخْرَى، إِنَّ حَدَثَ يَوْمًا لِكَلَامِ يَسُوعَ أَنْ أَثَارَ جَدَلًا بَيْنَ مُعَاَصِرِيهِ، فَهُوَ هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي قَالَهُ عَنِ نَفْسِهِ.

فَلَنَنْظُرَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى حِينَ قَالَ: "وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي الْخِرَافِ. لِهَذَا يَفْتَحُ الْبَوَابَ، وَالْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ" إِلَى آخِرِهِ. وَفِي الْآيَةِ ٧ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَلُصُوصٌ". إِلَى مَنْ يُشِيرُ؟ لَا أَظُنُّ أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى أَنْبِيَاءِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. هُوَ لَا يَدْعُو مُوسَى سَارِقًا وَلِصًّا. وَلَا يَدْعُو إِسْعِيَاءَ سَارِقًا وَلِصًّا، لَكِنَّهُ يُشِيرُ إِلَى الْمَسْحَاءِ الْكَذِبَةِ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّهُمُ الطَّرِيقُ الْمُؤَدِّي إِلَى اللَّهِ. مَرَّةً أُخْرَى، إِنَّ أَرَدْتَ التَّفَاعُلَ مَعَ نُصُوصِ الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ، وَمِنْ ثَمَّ التَّفَاعُلَ مَعَ الثَّقَافَةِ التَّعَدُّدِيَّةِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا، الَّتِي تُخَيِّرُكَ مِنْذُ الطُّفُولَةِ بِأَنَّهُ تُوجَدُ طُرُقٌ عَدِيدَةٌ تَقُودُ إِلَى اللَّهِ، أَيَّا كَانَ إِيمَانُكَ، سَوَاءَ كُنْتَ بُؤْذِيًّا أَوْ هِنْدُوسِيًّا أَوْ كُونْفُوشِيوسِيًّا أَوْ طَاوِيًّا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، جَمِيعُ هَذِهِ الطُّرُقِ الْمُخْتَلِفَةِ تَقُودُ إِلَى اللَّهِ. فَلَدَى اللَّهِ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَبْنَاءِ أَوْ الْآلِهَةِ الْمُتَجَسِّدَةِ فِي الْفَلَسَفَةِ، الْعَدِيدُ مِنَ الْإِظْهَارَاتِ وَالتَّجَسُّدَاتِ فِي هَذَا الْعَالَمِ. وَيَجِبُ أَنْ نَتَّبَعِيَ هَذَا الْمَفْهُومَ الشَّامِلَ. هَذَا مُتَعَارِضٌ مَعَ مَا يَعَلِّمُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنِ الْخَلَاصِ، وَهُوَ أَنَّ الْمَسِيحَ يَدْعَى "مُونُوجِينِيوز" أَي ابْنَ اللَّهِ الْوَحِيدِ.

سَبَقَ أَنْ أَخْبَرْتُكُمْ بِمَا حَدَثَ لِي عِنْدَمَا كُنْتُ تَلْمِيزًا فِي الْكَلْبِيَّةِ، وَأُسْتَاذَةُ اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ مُعَادِيَّةً جِدًّا وَعَلْنَا لِلْمَسِيحِيَّةِ، سَأَلْتَنِي أَمَامَ الْفَضْلِ كَلَّة: "سَيِّدُ سَبْرُول، أَتَظُنُّ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ الْمُؤَدِّي إِلَى اللَّهِ؟" وَسَعَرْتُ بِأَنَّ الْكُلَّ فِي الْفَضْلِ يُحَدِّقُ بِي، وَعَلِمْتُ أَنِّي وَاقِعٌ فِي وَرْطَةٍ كَبِيرَةٍ جِدًّا، لِأَنِّي إِذَا قُلْتُ "نَعَمْ"، عِنْدَيْدِ أَصْبَحُ

مُتَعَصِّبًا. وَإِنْ قُلْتُ "لا"، فَإِنِّي أَصِيحُ خَائِبًا. فَأَعْطَيْتُ جَوَابًا غَيْرَ وَاضِحٍ. فَقَالَتْ: "مَاذَا قُلْتَ؟" فَقُلْتُ: "نَعَمْ، أَنَا أُوْمِنُ بِأَنَّهُ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ". فَوَجَّهْتَنِي قَائِلَةً: "هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْأَكْثَرُ تَعَجَّرُفًا وَمُحْدَوِدِيَّةً وَتَعَصُّبًا الَّذِي سَمِعْتُهُ يَوْمًا". فَأَدَلَّتْنِي أَمَامَ الْفَضْلِ.

وَبَيْنَمَا كُنْتُ أُعَادِرُ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْيَوْمِ الدِّرَاسِيِّ، تَوَقَّفْتُ عِنْدَ الْبَابِ وَقُلْتُ لَهَا: "أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تُؤْمِنِينَ بِالْمَسِيحِيَّةِ، لَكِنْ أَتُظَنِّينَ أَنَّهُ يُمَكِّنُ لِأَحَدِهِمْ بِأَنْ يَفْتَنِعَ فِعْلًا بِأَنْ يَسُوعَ كَانَ عَلَى الْأَقْلِّ وَاحِدًا مِنَ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى اللَّهِ؟" فَأَجَابَتْ: "نَعَمْ، بِالطَّبَعِ". فَقُلْتُ: "إِنْ كُنْتَ مُقْتِنِعَةً بِأَنْ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنَ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ اكْتَشَفَتْ أَنَّهُ يَقُولُ لَكَ إِنَّهُ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ الْمُؤَدِّي إِلَى اللَّهِ، فَمَا الَّذِي تَفْعَلِينَ؟" قُلْتُ: "إِنْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ الْمُؤَدِّي إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ طَرِيقِي أَنَا، وَقُلْتُ إِنَّهُ عَلَيْكَ أَنْ تُؤْمِنِي بِطَرِيقِي دُونَ سِوَاهُ، وَإِنْ أَرَى سِي. سبرول وَحَدَهُ يَعْرِفُ الْحَقَّ، فَبِالطَّبَعِ، يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ الْأَكْثَرُ عَجْرَفَةً وَمُحْدَوِدِيَّةً وَتَعَصُّبًا الَّذِي سَمِعْتُهُ يَوْمًا. لَكِنْ إِنْ كُنْتُ مُقْتِنِعَةً فِعْلًا بِأَنْ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ، وَبِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ، أَفَلَا تَظُنِّينَ أَنِّي أَخُونُهُ إِنْ قُلْتُ بِهَدَفِ إِرْضَائِكَ أَوْ إِرْضَاءِ الْمُجْتَمَعِ إِنَّهُ تُوَجَّدُ طَرِيقٌ عِدَّةٌ؟" قَالَتْ: "نَعَمْ، أَظُنُّ ذَلِكَ". وَقَالَتْ: "لَكِنْ يَجِبُ أَنْ أَسْأَلَكَ، كَيْفَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ يُعْطِي طَرِيقًا وَاحِدًا فَقَطْ؟" فَقُلْتُ: "هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يُدْهِلُنِي". فَقَالَتْ: "مَاذَا؟" فَقُلْتُ: "أَنَّهُ أَوْجَدَ طَرِيقًا. لِمَاذَا أَعْطَى طَرِيقًا وَاحِدًا؟ وَمَا فَعَلَهُ، الْعَمَلُ الَّذِي قَامَ بِهِ لِيَفْدِيَ عَالَمًا سَاقِطًا مِنْ خِلَالِ خِدْمَةِ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَا يَلِيْقُ مُقَارَنَةً حَيَاتِهِ وَشَخْصِهِ بِبُودَا أَوْ مُحَمَّدٍ أَوْ كُونْفُوشِيُوسَ أَوْ غَيْرِهِمْ. لَقَدْ مَاتُوا جَمِيعًا. وَلَمْ يَقُمْ أَيُّ مِنْهُمْ بِعَمَلٍ تَكْفِيرِيٍّ. وَلَمْ يَحْمِلْ أَيُّ مِنْهُمْ خَطَايَا الْعَالَمِ عَلَى كَاهِلِهِ أَمَامَ عَرْشِ دِينُوتَةِ اللَّهِ". وَقُلْتُ: "إِنْ أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِيَحْمَلَ كُلَّ خَطِيئَةٍ ارْتَكَبْتَهَا، وَقَدَمَهُ لِلْمَوْتِ بَدَلًا مِنْكَ. ثُمَّ قَالَ إِنَّكَ إِنْ وَثِقْتَ بِهِ فَهُوَ يَغْفِرُ كُلَّ خَطِيئَةٍ ارْتَكَبْتَهَا وَيُعْطِيكَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً فَلَا تَمُوتِينَ أَبَدًا، بَلْ تُحْيَيْنَ إِلَى الْأَبَدِ مِنْ دُونَ أَلَمٍ وَلَا مَرَضٍ وَلَا ظُلْمَةٍ وَلَا مَشَاكِلَ"، وَقُلْتُ: "وَهَلْ سَتَنْظُرِينَ إِلَيْهِ قَائِلَةً: عَمَلُكَ لَيْسَ كَافِيًا؟"

نَحْنُ مُتَعَجَّرِفُونَ جِدًّا لِدَرَجَةِ أَنَّنَا نَظْلُبُ أَنْ يُعْطِينَا اللَّهُ خَمْسَةَ أَبْوَابٍ تُؤَدِّي إِلَى الْحُظَيْرَةِ. وَتَرَفُضُ تَعْلِيمَ يَسُوعَ حِينَ يَقُولُ: "نَعَمْ، يُوجَدُ طَرِيقٌ وَاسِعٌ. إِنْ لَمْ تُرِيدُوا الطَّرِيقَ الضَّيِّقَ، يُوجَدُ طَرِيقٌ وَاسِعٌ". وَاسِعُ الْبَابِ وَرَحْبُ الطَّرِيقِ الَّذِي يُؤَدِّي (إِلَى الْحُظَيْرَةِ)؟ "لا"، الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلَاكِ. وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ". لَكِنْ يَسُوعَ قَالَ "مَا أَضِيقَ الْبَابِ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!" إِذَا، يَقُولُ يَسُوعُ إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ الدُّخُولَ، إِنْ أَرَدْتَ الدَّهَابَ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ الْأَمِينِ، يَجِبُ أَنْ تَدْخُلَ مِنْ خِلَالِي. وَقَالَ لِأَحَدٍ "إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ، وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ". يَدْخُلُ إِلَى الْمَكَانِ الْأَمِينِ، وَيَخْرُجُ إِلَى الْمَرَاغِي الْحَضْرَاءِ. لَا يَأْتِي السَّارِقُ إِلَّا إِذَا حَاوَلَ تَسْلُقَ الْجُدْرَانَ. هُوَ يَأْتِي لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ. وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ (كَبَابٍ) لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ. إِذَا، عِنْدَمَا يَقُولُ يَسُوعُ إِنَّهُ بَابُ الْحُظَيْرَةِ، فَهُوَ يَقُولُ أَيضًا إِنَّهُ بَابُ الْحَيَاةِ بِحَدِّ ذَاتِهَا، "رُؤْيِي"، الْحَيَاةِ السَّامِيَّةِ الَّتِي جَاءَ لِيُعْطِيهَا. وَهُوَ قَالَ: "لِهَذَا

السَّبَبِ أَنَا هُنَا، لِأُعْطِيَ حَيَاةً، حَيَاةً فَيَاضَةً، الْحَيَاةَ الَّتِي لَا تُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى مِنَ الْبَابِ. وَإِنْ أَرَدْتَ الْبَقَاءَ خَارِجَ ذَلِكَ الْبَابِ، أَوْ أَنْ تُحَاوَلَ إِيجَادَ طَرِيقٍ آخَرَ لِلدُّخُولِ مِنْ دُونِ الْمُرُورِ عَبْرَ ذَلِكَ الْبَابِ، فَسَتَفُوتُكَ تِلْكَ الْحَيَاةُ. وَسَيَفُوتُكَ ذَلِكَ الْمَلَكُوتُ. وَسَيَفُوتُكَ بَيْتُ الْآبِ. لَكِنَّهُ قَالَ: "أَنَا هُوَ الْبَابُ. ادْخُلْ مِنْ خِلَالِي، فَتَنَالَ تِلْكَ الْحَيَاةَ".

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَنْزُولُ هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقِدِّيسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُلُّنَا لَاهَوْتِيُونَ" و"أَدَهَشَنِي الْأَلَمُ".